

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (116-018) : كتاب العلم - الترغيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه ويقول ولا يفعل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-03-1997

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

على كل إنسان أن يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة لأنه سيسأل عنها يوم القيامة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه ما عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟ ))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة الأسلمي]

الإنسان أيها الأخوة ، حينما يوقن أن جهة قوية ستسأله ، لا بد من أن يفكر في كل شيء يفعل ، إذا كان هناك سؤال ، والسائل قوي ، وأنت في قبضته ، ولا تستطيع أن تقول كلمة خلاف الواقع ، فلو أن كل إنسان درس هذه الأسئلة ، وتحرك في حياته اليومية محاولاً أن يجيب عن كل سؤال يُسأل عنه يوم القيامة :

(( لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ ))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة الأسلمي]

الإنسان أحياناً يعيش عمراً ، ستون ، خمسة وستون ، اثنان وسبعون ، ثلاثة وثمانون ، أربع وخمسون ، ثمانية وأربعون ، كل واحد منا له عمر ، هذه السنوات ، هذه الأيام ، هذه الأشهر ، هذه الأسابيع كيف أمضاها ؟ السهرات أين أمضاها ؟ مع من ؟ موضوع الحديث هل فيه معصية ؟ هل فيه اختلاط ؟ هل فيه مشاهدة أعمال فنية ساقطة ؟ هل فيه غيبة ؟ نميمة ؟ افتراء ؟ ملء العين من الحرام ؟ النهار كيف أمضاه ؟ في دكانه ، في مكتبه ، في يمين كاذبة ، في بهتان ، في تصرف سيء ، الأيام والليالي تمضي ، كل حركة وكل سكنة سوف تُسأل عنها ، نُسأل عن العين هل غضت البصر ؟ نُسأل عن الأذن هل استمعت إلى محرم ؟ نُسأل عن اللسان هل نطق بغير الحق ؟ نُسأل عن اليد هل بطشت ؟ نُسأل عن هذه الرجل هل تحركت في معصية .؟

(( لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ ))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة الأسلمي]

العمر يستهلك ، لا يوجد إنسان يتمتع بصحته إلى ما شاء الله ، يضعف جسمه ، ينحني ظهره ، يضعف بصره ، يغير أسنانه ، يشيب شعره ، تضعف قوته .

(( عيدي كبرت سنك ، وشاب شعرك ، وضعف بصرك ، وانحني ظهره ، فاستح مني فأنا أستحي منك ))

## من أمضى حياته في القيل والقال و كثرة السؤال ندم أشد الندم :

العمر يصعد في خط صاعد ، ثم يستقيم الخط ثم ينحدر ، الإنسان حينما ينحدر خطه البياني ، وكان قد أمضى حياته في طاعة الله هذه سنة الله في خلقه ، أما حينما ينحدر خطه البياني وكان قد أمضى حياته في معصية الله ، أو في القيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، أو في سفاسف أو ترهات لا ترضي صاحبها شيئاً ، عندئذ يندم أشد الندم ويتألم أشد الألم .

### (( عن عُمره فيم أفناه ؟ ))

الإنسان أحياناً يمضي حياته في النزاهات ، في المباحات ، لكن همه طعامه وشرابه ، همه المتعة ، همه أن ينغمس فيما أباح الله له ، هذا الاستمتاع في المباحات ليس له رصيد ، لآتيكم بمثل قريب :

اجلس في حمام ساخن مريح ، ساعة ، ساعتين ، ثلاثة ، هل تصبح بعد هذا الاسترخاء في الماء الساخن طبيياً ؟ هل تصبح تاجراً ؟ هل تصبح عالماً ؟ الاستمتاع ليس له رصيد مستقبلي ، أما السعي والكد له رصيد مستقبلي .

لو أن طالباً أمضى حياته الدراسية ، في النوم ، والاستلقاء ، واللعب مع أصدقائه ، ولعب النرد ، و مشاهدة الأفلام ، هل ينجح ؟ هو مستمتع الآن ، والمتعة في وقت العمل جريمة ، نحن في الدنيا ، في دار عمل ، نحن في دار سعي ، في دار كسب ، في دار إعداد ، نحن في دار الدنيا إعداد لدار عليا ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

### (( إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعين ))

[أخرجه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل]

الإنسان حينما يجعل النعيم هدفاً له ، يعيش ليأكل ، يعيش ليستمتع ، يعيش ليحنقل ، يعيش ليفتخر ، يعيش لينغمس في الملذات ، أنا أقول المباحة الآن ، دعونا من المعاصي والآثام ، إنسان يعيش ليستمتع بما أعطاه الله ، هذا الاستمتاع ، وهذا الاسترخاء ، وهذا القعود ، وهذا الكسل ، هذا ليس له رصيد مستقبلي .

## العلم وسيلة إن لم ينقل الإنسان إلى السمو فلا فائدة منه :

لذلك دائماً أقول : إن استقمت على أمر الله سلمت ، أما إن بذلت من مالك ، ومن وقتك ، وجهدك ، سعدت ، لا بد من أن تبذل من أجل أن تتصل بالله عز وجل .

### (( لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عن عُمره فيم أفناه ؟ وعن علمه ما عمل به ؟ ))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

لا يوجد مسلم إلا ويعلم الحقائق ، من الآيات ، من الأحاديث ، من الأحكام الفقهية ، من السيرة النبوية ، ألف ضعف عما يفعله ، العلم ليس سبباً بذاته ، العلم وسيلة ، إن لم ينقلك العلم إلى السمو فلا فائدة منه .

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن .

العلم من دون عمل شجر بلا ثمر ، كل علم وبال على صاحبه ما لم يعمل به ، العلم حجة لك أو حجة عليك ، العلم وسيلة .

العبرة ليست في التعلم بل في التطبيق و ليست في جمع الحقائق بل في تطبيقها :

(( وعن علمه ما عمل به ؟ ))

هذا الأعرابي الساذج الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام : عطني ولا تطل ؟ تلا عليه قول الله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

( سورة الزلزلة )

قال : كُفيت ، اكتفى بآية واحدة ، القرآن فيه ستمئة صفحة ، فيه آلاف الآيات ، اكتفى بآية واحدة ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقه الرجل ، أي صار فقيهاً .

نحن لا نحتاج إلى علم كثير ، نحتاج إلى تطبيق كثير ، عاهد نفسك ، هذه الحقيقة قطعية الثبوت ؟ قطعية الدلالة ، ماذا عملت فيها ؟

والله أيها الأخوة ، إذا كل مسلم ألزم نفسه أن يطبق واحد بالألف مما يعلم لكننا جميعاً في حال غير هذا الحال ، واحد بالألف مما يعلم فقط ، أن تعامل الله عز وجل ، تعامل خالق الكون ، هذه العين هل صنتها عن معصية ؟ اللسان ، العين ، الأذن ، القلب ، اليد ، الرجل .

(( وعن علمه ما عمل به ؟ ))

على كل إنسان أن يسأل نفسه أين هو من آيات كتاب الله عز وجل ؟

دائماً اسأل نفسك ، مرة أحد التابعين قرأ قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾

( سورة الأنبياء الآية : 10 )

بدأ يقرأ القرآن ، مرّ بآيات الصالحين قال : أنا لست منهم ، القصة أنه أين أنت من هذه الآيات ؟.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

( سورة المؤمنون )

أين أنت من هذه الآية ؟ .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

( سورة النور الآية : 30 )

أين أنت من هذه الآية ؟ .

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

( سورة النساء )

أين أنت من هذه الآية؟ اقرأ القرآن، واسأل نفسك أين أنا من هذه الآية؟ هل أنا مطبق لها؟ هل أنا مقصر؟ هل أنا سباق إليها؟ لا يعينك أن تتعلم، يجب أن يعينك ماذا فعلت فيم علمت؟. لو فرضنا كما كنت أقول دائماً: أنت بحاجة إلى الشمس من أجل شفاء من مرض جلدي، وقلت: الشمس ساطعة، ولم تتعرض إلى أشعتها، ما قيمة هذه المقولة؟ هي ساطعة، إن قلت: ليست ساطعة لا أحد يصدقك، وإن قلت: ساطعة ما فعلت شيئاً، أبداً تحصيل حاصل، حقيقة صارخة بادية للعيان أنت ذكرتها، أما حينما تذهب إليها وتعرض نفسك لأشعتها فتشفى، الآن أنت إنسان منطقي.

فالعبارة ليست في التعلم في التطبيق، ليست في جمع الحقائق، في تطبيق الحقائق، هذه الأسئلة كلها الله عز وجل سربها إلينا من خلال النبي عليه الصلاة والسلام، لو فرضنا إنسان جاعته الأسئلة انتهى، يهيب الأجابة، النبي عليه الصلاة والسلام أعطاك الأسئلة، يوم القيامة هناك خمسة أسئلة.

### كل شيء مسجل على الإنسان فليتخذ حذره :

#### (( عن عمره فيم أفناه ؟ ))

الأيام، والليالي، والأسابيع، والشهور، والسنوات، والعقود، كيف مضت؟ السهرات خلال خمس وخمسين سنة أين أمضيتها؟ في النهار، في الصيف، في الشتاء، في الربيع، في الخريف، هناك سهرات في الشتاء، و سهرات في الصيف، هذا البيت من دخل إليه؟ ما الموضوعات التي طرحت فيه؟ هذه الجلسة في الليل مع الأهل عن أي شيء تكلمتم؟ ماذا شاهدتم؟ ماذا فعلتم؟ كل شيء مسجل عليك؟ والله الإنسان إذا عرف أن خطه مراقب يحسب ألف حساب، يعد للألف قبل أن ينطق بكلمة واحدة. وأنت مراقب من قبل الله عز وجل، مراقب وسوف تُسأل، وأي إنسان إذا جاعته ورقة: تعال إلينا يوم الخميس، لا ينام ثلاثة أيام بالليل، والله لم أفعل شيئاً، ماذا في السؤال؟ ثلاثة أيام لا ينام الليل، أما إن سألك إنسان عادي، وقال لك: تعال لعندنا لا شيء عليك، فكيف إذا سألك خالق الكون الذي لا تخفى عليه خافية؟

### العاقل من هيا جواباً لله عز وجل قبل فوات الأوان :

هذا كلام دقيق أيها الأخوة، كلام فيه مسؤولية كبيرة :

#### (( لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ ))

أي إن أعطيت لماذا أعطيت؟ هل أعطيت محاباة؟ هل أعطيت ظلاً؟ إذا منعت لماذا منعت؟ إذا ابتسمت لماذا ابتسمت؟ إذا عبثت لماذا عبثت؟ إذا وصلت لماذا وصلت؟ إذا قطعت لماذا قطعت؟ إذا طلقت لماذا طلقت؟ كل شيء سوف تُسأل عنه، أنا أقول دائماً هذه الكلمة: هيب الله جواباً، دعك من العباد، هيب لرب العباد جواباً، هذه المرأة الضعيفة التي عندك في البيت أنت أقوى منها، كيف عاملتها؟ هل كنت منصفاً لها؟ هل أعطيتها حقها

؟ هذا الشريك هل كنت منصفاً معه ؟ هل أعطيته حقه ؟ هذا الذي جاء إلى دكانك ، أو إلى عيادتك ، أو إلى مكتبك ، وهو واثق منك هل نصحته أم غششته ؟ هناك آلاف المهن أو الحرف لا يستطيع الطرف الآخر أن يناقشها . قال الطبيب للمريض : أنت بحاجة إلى تخطيط ، من الذي يعرف بالضبط إذا كان هذا التخطيط ضرورياً أم غير ضروري ؟ هناك تخطيط ، و إيكو ، و طبقي محوري ، ومرنان ، المرنان بثلاثة عشر ألفاً ، يا ترى ضروري ؟ أم هناك اتفاق مع صاحب المرنان ؟ لا يعلم بهذا إلا الله .؟

محامي ! يا ترى الدعوى رابحة أم خاسرة ؟ خاسرة سلفاً وتقول : رابحة ، وتأخذ الأتعاب ، من يعلم هذا ؟ هذا هو الدين ، مكشوف عند الله عز وجل ، لا يخفى عليه شيء ، فأنت حينما تتعامل مع الله عز وجل فاحذر . أحياناً تكبر الوهم على إنسان لتبتز من ماله ، بدعوى أنك شاطر ، وتحسن كسب المال ، لا ، هذه جريمة ابتزاز أموال الناس معصية كبيرة ، كل إنسان بحكم عمله يكون عنده مهنة راقية و عنده أسرار الإنسان يصدقه ، افعل يفعل ، لا تفعل لا يفعل ، هذا الذي جاءك مصداقاً لك .

(( كَبُرَتْ خِيَانَةٌ تَحَدَّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ ))

[ أخرجه أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي ]

### من فهم الدين فهماً خاطئاً تخلى الله عنه :

عندك جرأة أن تقول الحق ولو كان مرأاً ؟ وأن تقول الحق ولو كان على نفسك ؟ ولو كان على أهلك ووالديك وأقرب الناس إليك ؟ هذا الإيمان ، أنا أستغرب ، هذا الدين العظيم الذي فيه مئة ألف بند ، مسخ عند المسلمين إلى خمسة بنود ؛ صلى ، وصام ، وحج ، وزكى ، وانتهى الأمر ، وبيعه غير شرعي ، علاقته غير شرعية ، احتفالاته غير شرعية ، أحزانه غير شرعية ، لماذا تأخر المسلمون ؟ لماذا يبدو تخلى الله عنهم ، لماذا مليون يتحدثون مئة مليون ؟ يتغطرسون ، ويستعلون ، ويقتلون ، ويذبحون ، ويكسرون العظام ، لماذا ؟ لأننا فهمنا الدين فهماً خاطئاً ، فهمناه عبادات شعائرية ، فهمناه صلاةً ، وصياماً ، الدين صدق ، الدين أمانة ، الدين التزام ، الدين معاملة للخالق .

### الناس لا يلتفتون إلى الدين إلا بالتطبيق :

إذا :

(( لا تزولُ قدماً عبد يوم القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما عمل به ؟ ))

أي مقدار التطبيق مما تعلم ، والله قد يكون واحداً بالألف ، قد يكون واحداً بالعشرة آلاف ، قد يكون واحداً بالمئة ، قد يكون واحداً بالعشرة ، قد يكون واحداً من اثنين ، لا بدّ من أن تجعل كل شيء تعلمه مطبقاً حتى يرضى الله عنك .

(( وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ ))

سبحان الله ! معقول أن الدين كله ينتهي في النهاية إلى الكسب الحلال .

### (( يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ))

[ أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس ]

كيف يكون الطعام طيباً ؟ إذا كان الكسب حلالاً ، إذا الكسب حلال صار الطعام طيباً .

قال لي شخص – توفي رحمه الله – هو والد صديقي ، زرت صديقي في البيت في العيد ، فإذا بوالده قد خرج إلينا ، قال لي : عمري ست و تسعون سنة ، أجريت تحليلاً كله طبيعي ، قال لي : والله ما أكلت درهماً حراماً في حياتي ، من عاش تقياً عاش قوياً .

الإنسان حينما يصدق ، الناس لا يلتفتون إلى الدين إلا بالتطبيق ، إنسان صادق ، قال له : عندك بيض ؟ قال له : نعم عندي ، فسأله هل البيض طازج ؟ قال له : لا ليس طازجاً ، الآن جاري أحضر بيضاً طازجاً ، هذا الإنسان يقال في زملكا ، عليه إقبال ، لأنه لا يكذب ، كان من الممكن أن يقول له : هذا البيض طازج ، ويعطيه ما يريد ، قال : لا ، أنا البيض عندي من ثلاثة أيام التي .

### (( وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه ؟ ))

سألت مرة طبيب أسنان هل يوجد عندك مريض لا يوجد عنده أي مشكلة بأسنانه؟ قال لي : والدي – هو من أخواننا – قال لي : عمر والدي خمسة و ثمانون عاماً لا يوجد عنده أي مشكلة بأسنانه ، سألت وتحققت ، فإذا بوالده نموذج نادر جداً ، لم يشرب أي كأس من الشاي أثناء المراقبة بحياته ، لم يغلِ الشاي على سخانة المديرية ، ورع إلى درجة تفوق حدّ الخيال ، فمتعته الله بصحة أيضاً تفوق حدّ الخيال ، طبعاً أنا لا أقول إن كان للإنسان أسنان محشوة معنى هذا أن له مشكلة ، لا ، هناك ظواهر عجيبة ، كل إنسان الله عز وجل يعطيه شيئاً يتناسب مع وضعه .

### (( وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟ ))

من استهلك عمره في الطاعات فلا شيء عليه :

الإنسان بعد عمر مديد يحنى ظهره ، يشيب شعره ، يضطر إلى نظارة ، يضطر إلى قطع تبديل ، يضطر لأن يضع شرياناً من مكان ينقله إلى مكان آخر ، هذا الجسم استهلك ، فيم استهلك ؟ إذا استهلك في الطاعات والله لا يوجد مانع ، هذه سنة الله في خلقه ، لا يوجد إنسان ينجو من هذا ، الأنبياء ، الأنبياء ماتوا ، الأنبياء مرضوا .

﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾

( سورة مريم الآية : 4 )

نبي ، لا يوجد مشكلة إذا الإنسان كبر في السن ، وانحنى ظهره ، وضعف بصره ، وهنت قوته ، شيء طبيعي جداً ، لكن العبرة كيف أمضيت هذا العمر ؟ في الطاعات ، في الصلوات ، في خدمة الخلق ، في الصدق والأمانة ، في الإخلاص في عملك ، شيء جميل جداً .

أخواننا ، هذا الحديث من أخطر الأحاديث ، خمسة أسئلة تنتظرنا جميعاً يوم القيامة ، هذه الأسئلة سُربت إلينا ، النبي سربها لنا ، جاهزة ، هيئ أجوبة .

(( لا تزولُ قدماً عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمره فيم أفناه ؟ وعن علمه ما عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟ ))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة الأسلمي]

والحمد لله رب العالمين